وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

كلّية الآداب و اللّغات

قسم الآداب و اللّغة العربية

المقياس : التّطوّر الدّلاليّ

المستوى: السّنة الأولى ماستر / تخصّص لسانيات تطبيقيّة / المجموعة الرّابعة

محاضرات في التطوّر الدّلاليّ

إعداد : د/ رفيقة بن ميسيّة

السّنة الجامعيّة 2021-2022م

المحاضرة الأولى : مدخل إلى التّطوّر اللّغويّ

أوّلا : حتميّة التّطوّر اللّغويّ

اللّغةُ ظاهرةٌ إنسانيّةٌ و اجتماعيّةٌ شأنُها شأنُ الكائنِ الحيِّ النّامي ، تنمو بنموّه، و تتطوَّرُ بتطوُّرِه و مادامت كذلك ، فهي عرضةٌ للتّطوّرِ في مختلف عناصرها ؛ أصواتِها وقواعدِها وأبنيتِها ودلالاتِها ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** « اللّغةُ كائنٌ حيٌّ ؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلّمين بها ، وهم من الأحياءِ ، وهي لذلك تتطوَّرُ وتتغيَّرُ بفعلِ الزّمن ، كما يتطوَّرُ الكائنُ الحيُّ ويتغيَّرُ، وهي تخضعُ لما يخضعُ له الكائنُ الحيُّ في نشأتهِ ونُموِّهِ وتطوُّرِه ، وهي ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ ، تحيا في أحضانِ المجتمعِ ، وتستمدُّ كيانَها منه ، ومن عاداتِه وتقاليدِه وسلوكِ أفرادِه ، كما أنَّها تتطوَّرُ بتطوُّرِ هذا المجتمعِ، فترقى برقيِّه، وتنحطُّ بانحطاطِهِ»() . و يؤكد أيضا **حسن جبل** هذه الفكرة قائلا :« الحياةُ متجدِّدةٌ دائمًا، وهذا واقعٌ أوضحُ من أن يحتاج إلى برهانٍ ، والفكرُ الذي يكيِّفُ ما يجري في الحياة ، ثمَّ يحدِّده ليكوِّن معاني تصلحُ أن توضع **في قوالب** لغويَّةٍ - هو أيضاً - دائبُ السَّبحِ والتَقلُّبِ والتَّجديدِ بما لا حدودَ له ، فمن الطَّبيعيِّ أن تكون اللُّغةُ المعبِّرةُ عن الحياةِ والفكرِ متجدِّدةً بل مُتَوَثِّبَةَ التَّجدُّدِ؛ لتلاحِقَ تلك الحياةِ وذلك الفكرِ في التَّعبير عنهما .»()

ويقول ستيفن أولمان : « اللّغة ليست هامدةً أو ساكنةً بحال من الأحوالِ، على الرَّغم من أنَّ تقدُّمَها يبدو بطيئًا في بعض الأحايينِ ، فالأصواتُ والتَّراكيبُ والعناصرُ النَّحويَّةُ وصيغُ الكلماتِ ومعانيها معرَّضةٌ كلُّها للتَغيُّرِ والتَّطَوُّر ، ولكن سرعة الحركةِ و التَّغيُّر فقط هي التي تختلفُ من فترةٍ زمنيَّةٍ إلى أخرى و من قطاعٍ إلى آخر من قطاعات اللّغةِ ، فلو قمنا بمقارنةٍ كاملةٍ بين فترتين متباعدتين ، لتكشّف لنا الأمرُ عن اختلافات عميقةٍ كثيرةٍ من شأنها أن تعوق فهمَ المرحلةِ السَّابقة و إدراكَها إدراكا تامًّا . » ()

إذا فتطوّر اللّغة أمر لا مناصّ منه ، و هو لا يقتصر على مستوى من مستوياتها ، بل إنّه يشمل جلّ مستوياتها ؛ الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، مع الاختلاف في درجة و طرائق ذلك التّطوّر ،

كما أنه لا يقتصر على لغة دون أخرى ، بل إنّ لغات العالم كلّها معرّضة للتّبدّل و التّغيّر من حقبة زمنيّة إلى أخرى ، و من جيل لآخر.

و يمكن البرهنة على تطوّر اللّغة من ناحيتين : **أولاهما** النّاحية اللّغويّة ، **و ثانيتهما** النّاحية المنطقيّة ().

أ) النّاحية اللّغويّة : حيث يتمّ الإقرار بأنّ هناك تطوّرا فعليّا على المستوى اللّغويّ للّغة ، فأصواتها و تراكيبها و أساليبها و صيغها و دلالاتها معرّضة كلّها للتّغيّر و التّبدّل ، و خير دليل على هذا التّغيّر ما نلاحظه على التّغيّرات التي حصلت للّغة العربيّة في مختلف مستوياتها، إذ يتجلّى التّغيّر في المستوى الصّوتيّ في مظاهر و أشكال متعدّدة ،منها : اختفاء بعض الأصوات من اللّغة العربيّة المعاصرة ؛ مثل صوت **الضّاد** القديمة ، و هي أقلّ شدّة ممّا ينطق بها في العربيّة اليوم () ، و تغيّر مخرج صوت ما إلى مخرج آخر ، و من أمثلة ذلك تغيّر مخرج **الضّاد** ، حيث إنّ الضّاد مخرجها عند القدماء من بين أوّل حافة اللّسان و ما يليها من الأضراس () ، و مخرجها عند المحدثين من الأسنان و اللّثة ()، و مخرج **الجيم** عند القدماء من وسط اللّسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى () ، و مخرجها عند المحدثين من الغار ، أي من أقصى الحنك إلى وسطه () ، و تغيّر صفة صوت ما إلى صفة أخرى ، و من أمثلة ذلك ، صوت **الضّاد** ، فهو رخو عند القدماء ()، و انفجاريّ عند المحدثين () ، و صوتا **الطّاء و القاف** ، فهما صوتان مجهوران عند القدماء ()، و مهموسان عند المحدثين () ، و تحوّل صوت إلى صوت آخر على مستوى النّطق مثلما هو ملاحظ اليوم على مستوى نطق بعض الأصوات ؛ حيث تنطق الثّاء تاء ، و الضّاد ظاء ، أو العكس ،إضافة إلى استحداث بعض الأصوات في بعض اللّهجات العاميّة ؛ منها صوت القاف الذي ينطق في اللّهجات الجزائريّة بأشكال مختلفة ممثّلة في الكاف و الألف ، أمّا على المستوى الصّرفي ، و يتجلّى هو الآخر في مظاهر كثيرة ،أهمّها : طغيان أبنية صرفيّة في الاستعمال على غرار أبنية أخرى ، فشتّان بين استعمال صيغ " **فَعَّلَ** " و " **أَفْعَلَ** " و " **انْفَعَلَ** " و " **افْعَلَّ** " و استعمال صيغتي " **افْعَوْعَلَ و افْعَالَّ** () ، سواء على مستوى اللّغة العربيّة القديمة أو على مستوى

اللّغة العربيّة المعاصرة ، و هجران أبنية أخرى من الاستعمال ، إذ لم تعد عربيّة اليوم تستعمل صيغا صرفيّة ، مثل " **افْعَنْلَلَ و افْعَنْلَى و افْعَوْعَلَ " و افْعَوَّلَ "** ، فبعدما كانت قليلة الاستعمال أصبحت مهجورة () ، إضافة إلى التّطوّر الذي يحصل على مستوى تغيّر معاني بعض الأبنية ، و من مثل ذلك نقل صيغة " **فِعَال** " من دلالتها على المبالغة إلى دلالتها على اسم الآلة ()، أمّا على المستوى التّركيبي ، فهناك مظاهر كثيرة أيضا ، أبرزها : استحداث بعض التّراكيب اللّغويّة بفعل عامليّ التّرجمة و الاحتكاك باللّغات الأخرى ()، و هجران بعض الاستعمالات اللّغويّة رغم قياسيتها و موافقتها للنّظام اللّغويّ الصّحيح ، كبعض ألفاظ التّوكيد المعنوي ، نحو : أبتع ، أبصع ، أكتع () ، و أسلوب الاستغاثة و النّدبة و غيرها () ، أمّا على المستوى الدّلالي ، و هو الجانب الأكثر عرضة للتّطوّر ، فنلمس فيه تغيّر دلالات بعض الألفاظ ، مثلما هو ملاحظ على الألفاظ الإسلاميّة ، إذ خصّص بعضها و عمّم بعضها الآخر ، و قد استحدثت ألفاظ جديدة لم تكن معروفة من قبل ، كما استحدثت مدلولات جديدة لألفاظ قديمة توافق مستجدّات العصر ، و قد هجرت ألفاظ من الاستعمال ، و ماتت ألفاظ أخرى ، و أعيد إحياء أخرى ، كلّ هذه الدّلائل تفيد بشرعيّة و حتميّة التّطوّر اللّغويّ ، فلغة الأمس ليست هي لغة الحاضر .

<u>ب-النّاحية المنطقيّة:</u>

منطلق هذه النّاحية كلّ الحجج و البراهين التي تؤكّد حتمية التّطوّر اللّغويّ ، إذ لا مجال للشّكّ في أنّ تغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع ، فاللّغة انعكاس مباشر لثقافة المجتمع و سلوكه و نمط تفكيره ، فما يطرأ على المجتمع من تغيّرات يصحبه أيضا تغيّر على مستوى اللّغة ، يقول **كمال بشر** : « فمن المقرّر و الثّابت أنّ اللّغة لا تبقى على حال واحدة ، بل يصيبها دائما و أبدا شيء من التّطوّر أو التّغيّر أو التّبديل في كلّ ظواهرها : صوتيّة أو صرفيّة أو نحويّة أو أسلوبيّة ، ذلك أنّ الحياة نفسها متغيّرة متجدّدة ، و من ثمّ تستلزم أنماطا من الكلام جديدة تقابل حاجاتها التّعبيريّة و تفي بأغراضها و مقاصدها التي تختلف من طور إلى طور ، و من بيئة إلى أخرى ، و هكذا تخضع اللّغة لما يخضع له جميع مظاهر

السّلوك الإنسانيّ ، فتتحرّك من موقعها ، فتضيف جديدا أو تنقص قديما أو تجمع بينهما ، و تختلف درجة هذا التّحرّك و عمقه باختلاف الظّروف و الملابسات التي تعيش فيها اللّغة المعيّنة ». ()

فهذه الدّيناميكيّة غير المتوقّفة لهذا المجتمع في مختلف المجالات تستدعي أيضا ديناميكيّة غير ثابتة في اللّغة في مختلف أنظمتها ، فثمّة إذا صلة وثيقة بينهما ، فما يطرأ على المجتمع يطرأ على اللّغة أيضا.

ثانيا : قانون التّوازن اللّغويّ :

إنَّ التَّطوّرَ نقطةُ ارتكازٍ تقومُ عليها الدِّراسةُ في مختلفِ فروع العلمِ ، و بالنّظر إلى هذه الفكرةِ ، فإنّه يمكننا أن نفترضَ أنَّ اللُّغةَ في تطوّر مستمرّ يتنازعُها فيه عاملانِ متناقضانِ تُجاهدُ اللّغةُ في الاحتفاظ بتوازنها بينَهما () ، وهذان العاملان أو القوّتان ، كما يراهما اللّغوي الفرنسي أرسين **دار مستيتر A . Darmeseteter** ، هما :

أ - **عامل المحافظة :** وهي نزعةٌ طبيعيَّةٌ عند المتحدّثين باللّغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصَّوتيَّةِ و الصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ والدَّلاليَّةِ لكي لا تتغيَّرُ ولا تختلفُ .

ب – **عامل التّغيّر أو التّطوّر :** و هو قوةٌ تعملُ على دفع اللُّغةِ نحو التَّطوُّرِ في جميع أنظمتها . ()

و لكلّ هذين العاملين منطلق خاصّ به ، فإذا كان عامل المحافظة ، وهو عامل كابح للتّطوّر اللّغويّ ينطلق من فكرة أنَّ اللّغة تراثٌ قوميٌّ ، و قد يكون دينيّا أيضا تقتضي الأمانةُ الحفاظَ عليه كما كان على عهد السّلف ، فإنّ عامل التّطوّر ثوريّ متمرّد على الجمود ، تقف من ورائه الحضارة قوّة دافعة . ()

وعليه تكونُ اللُّغةُ في صراعٍ دائمٍ بينهما ، فإذا تمسَّكت بالقديم المحافظِ جُمِّدت وتخَلّفت ، وإذا ما فتَحت صدرَها للتَّطوُّر من غير حدودٍ ضاعت شخصيتُها القائمةُ على الانتظام وتعرَّضت للتَّشعُّبِ والاندثارِ () ، فالتَّغيُّرُ لم يأتِ عبثا أو حشوا أو إفسادا، وإنَّما جاء لمقابلةِ حاجاتِ النَّاس في المجتمع الذي لا يكفُّ عن التَّغيُّرِ في كلِّ مظاهر السُّلوك فيهِ . ()

و بالنّظر إلى عامليّ المحافظة و التّطوّر الذين تنازع اللّغة بينهما ، فإنّ الحالةَ السّليمةَ للّغة لا بدّ أن تخضع للتّوازن بين هاتين القوّتين كي تصل إلى نوعٍ من التّطوّرِ الهادئ الذي يرتبط بالقديم وتراثه، ولا يرفضُ الجديدَ ومتطلّباته. ()

و يرى **حلمي خليل** أنّ هذا النّوع من التّطوّر هو ما يطلق عليه مصطلح التّطوير ؛ لأنّ هذا التّوازن لا يحدث في الحقيقة من تلقاء نفسه ، و إنّما يحدث نتيجة لجهد إراديّ يتدخّل لحسم هذا الصّراع و يكون ذلك عن طريق فرد أو مجموعة من الأفراد كالمجامع اللّغويّة أو الهيئات العلميّة . ()

قائمة المصادر و المراجع :

- أحمد محمّد قدّور: مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر الهجري ، منشورات وزارة الثّقافة ، دمشق 1996 م .
.

-حلمي خليل ، المولّد في العربيّة ، دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها بعد الإسلام ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1405 هـ – 1985 م .

- حسن ظاظا : اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّامية، بيروت ط2 ، 1410 هـ - 1990م
.

-كمال بشر : دراسات في علم اللّغة ، دار غريب للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، مصر ، 1998م -رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغوي ، مظاهره و علله و قوانينه ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 3 -1417هـ ، 1997م . .

- محمد حسن جبل : الاستدراك على المعاجم العربيَّة في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر .

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السّلام محمّد هارون ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ، 1408هـ - 1988م ، ج 4، ص 433 ، ابن جنّي ، سرُّ صناعة الإعرابِ ، دراسة و تحقيق حسن هنداوي ، ج 1 .

-محمّد محمود أحمد محجوب ، التّطوّر في لغتنا ، حتميته وانعكاساته ، مقال ضمن ندوة بعنوان: "اللّغة العربيّة في بيئات ومجالات مختلفة " احتفالا باليوم العالمي للّغة العربية، الدّوحة 27/26 /12/ 2015م .

المحاضرة الثّانية : التّطوّر اللّغويّ –مفهومه –مراحله - خواصّه

أوّلا : قراءة في مفهوم التّطوّر اللّغويّ :

أ - لغة:

مصطلح التّطوّر رغم شيوعه في الاستعمال اللّغويّ ليس له حضور في المعاجم القديمة ، بل إنّ ما استنتج من مفاهيم لغويّة كان مردّه إلى الجذر اللّغويّ للّفظ و ما يحتويه من معان تتقاطع مع مفهومه العامّ ، فالتّطوُّرُ مصدر قياسيّ مصوغ من الفعل الثّلاثيِّ المزيد بحرفين ، أي : تَطوَّرَ، و مادّته المعجميّةُ هي "طوَرَ" ، يقول **ابن منظور (ت 711هـ) :** « و الطَّوْرُ هو التَّارةُ ، تقول : طَوْرا بعد طَوْرٍ؛ أي : تارةً بعد تارةٍ، و الطَّوْرُ: الحالُ ، و جمعُه أطوارٌ ، قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارا** ﴾[**نوح: 14]** ؛ معناه : ضُروبًا و أحوالاً مختلِفَةً ، و قال الفرّاء : خلقكم أطوارا ، قال : نُطفةً ، ثم عَلقةً ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظما ، و قال الأخفش : طَوْرا : عَلقَةً ، وطوْرًا مُضْغَةً .» ()

أمّا في العصر الحديث فجاء في المعجم الوسيط أنّ : طَوّرَه : حوّله من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، و هو مشتقّ من الطَّوْرِ، و تَطَوَّرَ بمعنى : تحوَّلَ من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، و التّطوّر هو التّغيير التّدريجيّ الذي يحدث في بنية الكائنات الحيّة وسلوكها، ويطلق أيضا على التّغيّر التّدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو القيم السّائدة . »()

أمّا معجم **اللّغة العربيّة المعاصرة** ، فيجمل كلّ المفاهيم التي دار حولها مصطلح التّطوّر في مفهومه الاصطلاحيّ ، حيث ورد الفعل تطوّر و هو مطاوع طوّر بمعنى : تعدّل ، تحوَّل تدريجيّا من حال إلى حال ، تطوّر المجتمع في العصر الحديث ، تطوّرت الأسلحة الفتّاكة **تطوّرا مخيفا** ، **تطوّر الطّب العلاجيّ** ....طوّر المصنعَ : عدَّله **و حسَّنه** ، و نقله من حالٍ إلى حالٍ أفضلَ ، **و تطوُّر** مفرد جمعه تطوّرات لغير المصدر ، و هو يحمل المعاني الآتية :

1-مصدر تَطَوَّرَ ، التّطوّر الاجتماعيّ : التقدّم .

2-انتقال من حال إلى حال ، تغيير واضح .

3-نموّ تدريجيّ في بنية الكائنات الحيّة و سلوكها خلال العصور التّاريخيّة

4-تغيّر تدريجيّ يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو القيم أو النّظم أو القيم السّائدة فيه ().

و يبدو من خلال التّعاريف اللّغويّة للتّطوّر أنّه يشمل المفاهيم الآتيّة :

- انتقالٌ و تحوّلٌ من حالٍ إلى حالٍ آخرَ .
- تحوّل و تعديل وانتقالُ من حالٍ إلى حالٍ أفضلَ .
- نموّ تدريجيّ خلال العصور التّاريخيّة .
- التّغيّر التّدريجيّ بصورة عامّة بغضّ النّظر عن نوعيته .
- التّحوّل من حال إلى حال لا يكون دفعةً واحدةً ، و إنّما يحدثُ تدريجيًّا .

ب - اصطلاحا :

لم تكن آراء اللّغويين و الباحثين المحدثين واضحة و دقيقة حول تحديد مفهوم التّطوّر اللّغويّ رغم كثرة بحوثهم في هذا المجال ، و رغم محاولتهم التّفريق بين مفهومه و مفهوم آخر يتقاطع معه ألا و هو مفهوم التّغيّر اللّغويّ ، إذ بقي هذا التّفريق مجرّد كلام نظريّ لا أكثر ، و هذا ما نجده واضحا في متن مؤلّفاتهم ، إذ نجدهم يزاوجون بين المصطلحين في الوقت نفسه على الرّغم من اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر كما يبدو من خلال عناوين مؤلّفاتهم أو بحوثهم ، و على هذا الأساس يمكننا قراءة هذا الموضوع على أساس تقسيم آرائهم إلى ثلاثة اتّجاهات رئيسة ، هي :

<u>أ-الاتّجاه الأوّل</u> : استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى يخالف معنى التّغيّر اللّغويّ على أساس أنّ التّطوّر هو الارتقاء و الانتقال من حال إلى حال أفضل ، فاللّغة تنتقل من طور إلى طور و من مرحلة إلى أخرى ، و كلّ مرحلة تكون أفضل و أحسن من الأخرى ، كما أنّ تاريخها أطوار تشبه أطوار عمر الإنسان و ارتقاءه من عمر إلى آخر ، فمن نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم .....و هكذا مع بقيّة الأطوار الأخرى ، و هكذا الأمر بالنّسبة للّغة .

فهذه الأطوار تشبه أطوار اللّغة ، و إن كان الشّبه مجازيّا ، أمّا التّغيّر اللّغويّ فهو الانتقال من حالة إلى أخرى بغضّ النّظر عن نوعيّة الانتقال سواء أكان إيجابا أم سلبا ، قوّة أم ضعفا على أساس أنّ اللّغة تتغيّر في أشكال و مظاهر مختلفة ، فأحيانا تسمو و ترقى و أحيانا تضعف و تنحطّ تبعا لعوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، و بهذا التّفريق يكون التّغيّر أشمل من التّطوّر لارتباط التّغيّر بكلّ تغيّر إيجابيّ أو سلبيّ يحصل للّغة في مختلف مستوياتها أو أنظمتها ، و ارتباط التّطوّر بكلّ ما هو إيجابيّ يحصل للّغة أيضا في مختلف مستوياتها ، أي أنّ التّغيّر لا يقترن بنوع معيّن من الانتقال ، بل يشملهما معا ، في حين يقترن التّطوّر بمراحل الانتقال التّصاعديّ و التّدرّج إلى مراتب السّموّ و الكمال و النّمو ، و لعلّ هذا الأمر ما أدّى ببعض اللّغويين و الباحثين إلى اختيار مصطلح التّغيّر بدلا من التّطوّر عنوانا لمؤلّفاتهم أو بحوثهم () ، يقول **عبد الرّحمن بودرع** مفرّقا بين المفهومين : « الذي أفهمُه من التّطوُّر اللّغويّ انتقال اللّغة من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، فتاريخُ اللّغة أطوار كأطوار خَلق الإنسان وارتقائه من عُمر إلى عمر..... ولَقَد شَهِدَت اللّغاتُ وتَشهدُ مرحلةَ الطّفولة ثم الشّباب والاكتهال والشّيخوخَة فتضعُف وتحلّ محلّها لغةٌ أخرى، أو هي تتحلّلُ في لغةٍ أخرى أمّا التّغيّر اللّغويّ فليسَ هو التّطوّر : التّغيّر هو الانتقال من حالة إلى أخرى وهو أعمّ من التّطوّر ؛ لأنّ التّطوّر الارتقاءُ من طورٍ إلى آخَر كتطوّر دلالات الألفاظ ، أمّا التّغيّر اللّغويّ ، فقَد يكون من حالة قوّة إلى حالة ضعف أو العَكس.... . » ()

إنّ هذا القول يحيلنا إلى الإقرار بعدّة مسائل ، أهمّها :

- تمرّ اللّغة في تطوّرها بمراحل مختلفة ، فتطوّرها لا يكون دفعة واحدة ، و إنّما يكون تدريجيّا ، و هو أمر متّفق عليه و مسلّم به .

- الشّبه الموجود بين اللّغة و الإنسان ، فتاريخ اللّغة أطوار مختلفة ، تشبه أطوارها أطوار عمر الإنسان فأطوار عمر الإنسان هي الطّفولة و الشّباب و الكهولة و الشّيخوخة ، و كذا الأمر بالنّسبة للّغة ، فمسارها يشبه مسار الإنسان، و هو ما يحيلنا إلى القول بأنّ هذا التّشبيه فيه اعتراف ضمنيّ بأنّ اللّغة تأخذ

مسارين مختلفين في تطوّرها ، و هما مرحلة الرّقيّ و السّموّ (الطّفولة ، الشّباب ، الكهولة) و مرحلة الاضمحلال و التّلاشي (الشّيخوخة) ، و هو ما يتطابق مع مفهوم التّغيّر لا التّطوّر ، فقد يصيبها نوع من الرّقي و التّطوّر بفعل تجدّدها و إضافة عناصر لغويّة إلى رصيدها الثّقافيّ تواكب كلّ التّطوّرات التي يشهدها المجتمع في مختلف الميادين دون المساس بإرثها الحضاري ، و قد يصيبها نوع من التّلاشي و الاضمحلال بفعل عوامل كثيرة أهمّها انصهارها في لغات أخرى تكون أكثر قوّة منها من حيث النّفوذ السّياسيّ و اللّغويّ ، مثلما حدث مع لغتنا العربيّة التي تحلّلت في لغات المستعمر أثناء سيطرته على البلدان العربيّة ، كما تتلاشى أيضا بفعل طغيان الاستعمال العاميّ على الاستعمال الفصيح ، و هو ما نشهده اليوم على لغتنا المعاصرة ، التي تكاد تعابيرها و أساليبها تقترب من العاميّة .

و بذلك فإنّ هذا القول و رغم محاولته التّفريق بين المفهومين إلاّ أنّ حدودهما بقيت غامضة نوعا ما إذ ليس دائما يكون تطوّر اللّغة مقترنا بالأفضل و الأحسن ، بل قد ينحو نحوا عكسيّا ، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و هكذا يكون سير التّطوّر سلبيّا كما يكون إيجابيّا ، فربّما لا تتطوّر اللّغة نحو مستوى متقدّم رفيع ، بل تنزل إلى درك من التّغيّر و التّبدّل تبعا للمستوى الحضاريّ و الثّقافيّ الذي عليه الأمّة . » ()، و يقول **عبد الحميد النّوري عبد الواحد** في مقال له عنونه بـ **" تطوّر اللّغة "** : « والدّليل على هذا التّطوُّر أنَّ اللّغة لها طور تُولَد فيه وتنشأ، وطور تزدهر فيه، وآخر تتلاشى فيه أو تضمحلُّ، والدّليل على هذا النّشوء والاضمحلال، ما نُعاينه في الكثير من اللُّغات أو في أغلب اللُّغات التي نشأت عن أصل ثابت، أو شبه ثابت، وانتهت إلى فرعٍ أو فروع مختلفة، من ذلك مثلًا الفرنسيَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة والبرتغاليَّة التي تعود كلُّها إلى أصل لاتينيٍّ يرجع إلى القرنين الثّاني والثّالث الميلاديَّين، ومن ذلك العربيَّة أيضًا التي تعود إلى العربيَّة القديمة أو إلى اللّغة الساميَّة؛ أي: إلى القرن الرّابع قبل الميلاد و أكثر، ومن المعلوم أنَّ اللُّغات الأصل لَمَّا تنشأ عنها فروعٌ أخرى تَضعُف وتتلاشى، وتضمحلُّ أو تموت، وموت اللُّغات ممَّا تشهده أو شهِدته لغات كثيرة، والتّاريخ شاهدٌ عليها، وذلك مثل الآشوريَّة والسّوماريَّة والفرعونيَّة،

والسنسكريتيَّة وغيرها، وموت اللّغة يكون باضمحلال المجموعة اللّسانيَّة التي تستعمل تلك اللّغة، أو بالأحرى بآخِرِ مَنْ يتكلَّم بها . » ()

و بذلك ، فإنّ مفهوم التّطوّر لا يقتصر فقط على ارتقاء اللّغة و ازدهارها من طور إلى طور ، و إنّما يشمل اضمحلالها و تلاشيها أيضا .

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر عند بعض اللّغويين المحدثين يستخدم بمعنى ارتقاء اللّغة و ازدهارها من طور إلى طور ، أي انتقالها في شكلها الإيجابيّ ، في حين يرتبط التّغيّر بكلّ ما يحصل للّغة من قوّة أو ضعف .

و للإشارة فإنّ **حلمي خليل** قد قابل هذا الوجه من التّطوّر و هو انتقال اللّغة من طور إلى طور أحسن و أفضل بمصطلح آخر و هو النّموّ () بدلا من التّطوّر على أساس أنّ اللّغة بهذا الانتقال قد أدّت وظيفتها على خير وجه ، فقابلت حاجات الإنسان المتجدّدة في حياته الفكريّة و المادّيّة ، و لم تقف عاجزة أو جامدة عن مواكبة الحركة الدّائبة في المجتمع الذي يحتضنها و هذا النّوع من النّموّ اللّغويّ مرغوب فيه لأنّه يثري اللّغة بعكس النّموّ المرضيّ للّغة الذي يؤدّي إلى التّضخّم المعيق لحركة اللّغة نحو الثّراء الحقيقيّ الذي تظلّ به فنّيّة تلبّي حاجات المجتمع و متّصلة اتّصالا وثيقا برقيّ الفكر ()

و يقابل **عبد الرّحمن بودرع** مفهوم النّمو بهذا الشّكل بالانفتاح ، إذ و خلال و قفته مع ثلاثة مصطلحات تتقاطع فيما بينها و هي التّغيّر اللّغويّ و التّطوّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، يرى أنّ التّطوّر هو الارتقاءُ من طورٍ إلى آخَر كتطوّر دلالات الألفاظ ، و هو انتقال اللّغة من طور إلى طور ، في حين يعدّ الانفتاح مظهرا من مظاهر التّطوّر اللّغويّ و اللّغة المتطوَرة في نظره هي اللّغةُ ذاتُ القُدرة الذّاتيّة على توليد الدّلالات الجديدَة والمُفرَدات الجديدة، وذاتُ القُدرة على التّطوّر والبَقاء وذاتُ مرونَة تساعدها على الطّواعيّة وعدم الانكسار والانقراض () . و بذلك فإنّ مواكبة اللّغة لكلّ مستجدّات العصر و قابليتها لإضافة ألفاظ جديدة و معان جديدة أيضا توافق حياة الإنسان المستجدّة يعدّ نموّا عند **حلمي خليل** و انفتاحا عند عبد **الرّحمن بودرع** .

الاتّجاه الثّاني: استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما :

يستعمل هذا الاتّجاه التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما و هو الاتّجاه الأكثر ورودا ، و ذلك من منطلقين رئيسين ؛ **أوّلهما** أنّ التّطوّر هو التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها في فترة زمنيّة معيّنة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، و **ثانيهما** أنّ التّطوّر الحاصل للّغة لا يقصد به تقييمه و الحكم عليه بالقبح أو الحسن ، و إنّما هو مجرّد تتبّع للتّغيّر الذي يحصل للّغة ، و لعلّ هذا الأمر ما جعل كثيرا من اللّغويين و الباحثين يزاوجون في متن مؤلّفاتهم و بحوثهم بين المصطلحين رغم اختيارهم في بداية الأمر لمصطلح واحد ()، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « كما أنّ استخدامَ اللّغويين المحدثين لكلمة التّطوّر لا يعني تقييم هذا التّطوّرَ ، و الحكمَ عليه بالحُسن أو القُبح ، فإنّه لا يعني عندهم أكثر من مرادفٍ لكلمة التَّغيّرِ. » () ، و يؤكّد **عبد السّلام المسّدّي** الفكرة نفسها في قوله : « إنّ الحقيقة العلميّة التي لا مراء فيها اليوم هي أنّ كل الألسنة البشريّة ما دامت متداولة ، فإنّها تتطوّر، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريّة لا إيجابًا ولا سلبًا ، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر ، إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتّراكيب من جهة ، ثمّ في الدّلالة على وجه الخصوص. » ()، و يقول **أحمد محمّد قدّور** أيضا : « فالتّطوّر الدّلاليّ يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى من غير أن يحمل صفة تقويميّة تشير إلى الحكم على التّطوّر بالخطأ أو الصّواب و إلى هذا ذهبنا في الفصل الأوّل حين اعتمدنا مصطلح **Change** الذي يدلّ على التّغيّر أيّا كان نوعه و مداه . » () ، و يرى **محمود فهمي حجازي** أنّ هناك كثيرا من الباحثين يرفضون كلمة التّطوّر باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء ، أي التّغيّر إلى الأفضل ، و هو حكم تقويميّ ، و هو غير ممكن في مجال التّغيّر اللّغويّ ، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة ، و ليس هناك صوت أفضل من صوت ، و لذا يفضّل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنّه تغيّر. () ، و بالنّظر إلى آراء هذا الاتّجاه فإنّ **حلمي خليل** يرى أنّه اتّجاه حاول تفسير التّطوّر تفسيرا موضوعيّا على أساس من الواقع ، إذ فسّره بالتّغيّر ، و كلّ ما يعنيه أصحاب هذا الاتّجاه هو أنّ هناك شيئا ما حدث للّغة ، أو أنّ هناك

تغيّرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنيّة و على هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللّغويّ.()

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر اللّغويّ عند غالبيّة اللّغويين المحدثين و المعاصرين يستخدم بمعنى مطلق التّغيّر بغضّ النّظر عن قيمته سواء أكان إيجابيّا أم سلبيّا ، فليس الهدف هو الحكم على هذا التّطوّر و تقييمه ، و إنّما تتبّع هذا التّطوّر و رصد كلّ التّحوّلات و التّغيّرات التي تحصل للّغة في مختلف مستوياتها .

<u>الاتّجاه الثّالث</u> : استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها :

التّطوّر في هذا الاتّجاه يقصد به الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، يقول **محمّد المبارك :** « فكلمة التّطوّر اشتقّت في هذا العصر من كلمة طور على وزن صحيح معروف هو التّفعّل كما اشتقّوا من الحجر التّحجّر و من النّمر التّنمّر ، و هي كلمة احتيج إليها للتّعبير عن معنى جديد غير التّبدّل و التّغيّر و هو الانتقال من طور إلى طور » () ، و **يقول** أيضا في نصّ آخر : « و الغالب أن يحصل هذا التّبدّل على مرّ الأيّام و تقلّبات العصور و يسمّى في هذه الحال تطوّرا ؛ لأنّه انتقال بالكلمة من طور إلى طور ، و لنضرب على ذلك بعض الأمثلة ، إنّ كلمة "طعن " كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضّرب بالرّمح ، ثمّ استعملت بعد الإسلام في علم الحديث و الرّواية ، فيقال فلان مطعون في روايته ، ثمّ استعملت في العصر الحديث بمعنى قضائيّ خاصّ كالطّعن في الدّعاوي و الانتخابات ، و بقيت هذه المعاني كلّها ملازمة للكلمة و يعين أحدها سياق الكلام ... » ()

فمحمّد المبارك في هذا النّصّ لا يريد تأكيد فكرة تقييم الكلمة من حيث السّموّ و الرّقيّ أو الانحطاط و الانحدار ، و إنّما يريد تأكيد فكرة تتبّع المراحل التي مرّت بها الكلمة أثناء تطوّرها ، يقول في نصّ آخر داعيا إلى العدول عن فكرة التّقييم : « و لذلك فإنّ البحث في أطوار اللّغة لا يفيد الحكم دوما بالحسن على الطّور المتأخّر في الزّمن و بالقبح على المتقدّم ، فإنّ البحث العلميّ يتجرّد عن مثل هذا

الحكم ، و إنّما يدرس واقعا و يصوّر حقيقة محسوسة و يحاول تحليلها وتعليلها دون أن يحكم عليها بالصّحة و الفساد » ()

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر اللّغوي عند بعض اللّغويين المحدثين يستخدم بمعنى المراحل التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، إذ ليس الأساس معرفة إن كانت هذه اللّغة في مرحلة قوّة أو ضعف ، بل الأهمّ هو التّتبّع التّدريجيّ للمراحل التي مرّت بها هذه اللّغة في مختلف مستوياتها .

و للإشارة ، فإنّ الاتّجاهين الأخيرين قد يجيبان القارئ عن تساؤل ظلّ عالقا بذهنه لفترة طويلة ، لماذا يستعمل بعض اللّغويين و الباحثين في مؤلّفاتهم و بحوثهم عنوان التّطوّر الدّلاليّ و يدرجون ضمنها كلّ المظاهر و الأشكال وهي التّعميم و التّخصيص و الانتقال و الرّقيّ و الانحطاط ، و هي مظاهر تحمل في ثناياها انتقال دلالة الألفاظ من حال إلى حال و من حال أفضل إلى حال أسوأ ، و من حال أسوأ إلى حال أحسن و أفضل ، و هي مفاهيم ترتبط في الأصل بالتّغيّر و ليس بالتّطوّر حسب مفهوم الاتّجاه الأوّل ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى ، فإنّهم يمزجون في هذه المؤلّفات و البحوث بين المصطلحين معا رغم اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر ، كما تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا .

فالإجابة عن هذا السّؤال في نظرنا مردّها إلى أنّ التّطوّر في نظر هؤلاء اللّغويين المحدثين حسب قراءتنا للموضوع هو مجرّد تتبّع للأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى فهو مجرّد تتبّع للتّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها بغضّ النّظر عن الأحكام المعياريّة التي تطلق عليها ، إذ ليس المقصود هو الحكم و التّقييم ، و إنّما ملاحظة هذا التّغيّر الذي يحصل لها عبر مراحلها التّاريخيّة و في مختلف أنظمتها صوتا و صرفا و نحوا و دلالة .

و خلاصة القول في هذا المقام ، فإنّ **التّطوّر اللّغويّ** يقصد به التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة عبر مراحلها التّاريخيّة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها .

ثانيا : مراحل التّطوّر اللّغويّ :

قسّم أولمان مراحل تطوّر اللّغة و تغيّرها إلى مرحلتين أساسيتين ، هما :

أ/ مرحلة الابتداع و التّجديد:

و يظهر هذا التّغيّر عند فرد واحد بعينه ، أو عند مجموعة أفراد لا حصر لهم ، يتصادف أن يتّفقوا في إبداع واحدٍ ، أي أنَّ التَّغيّر الذي يطرأ على مستوى الكلمة سواء من حيث لفظها أو تركيبها أو دلالتها ، قد يكون من ابتداع فرد بعينه ، أو مجموعة أفراد عند استعمالهم لهذا الجديد لأوّل مرّة ، و يأتي هذا الخلق عادة عن طريق الموهوبين ؛ كالشّعراء و الأدباء و بعض أفراد المجامع اللّغويّة .

ب/ مرحلة الانتشار:

و تلي المرحلة السّابقة مباشرة أثناء دخول هذا التّغيير دائرة الاستعمال العام، فإذا سُمع الشَّيء المبتدَعُ في عبارة أو عبارات علِق بالذِّهن و ترتَّبَ على ذلك استعمالُ الآخرين له و نفذ بالتّدريج إلى نظامِ اللّغةِ. ()

و يفهم من قول أولمان أنّ اللّغة تمرّ في تطوّرها بمرحلتين رئيستين ؛ **أولاهما** ظهور التّغيرّ على مستوى أنظمتها الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، و يكون هذا الظّهور لأوّل مرّة عند فرد واحد ،أو عند مجموعة أفراد يتّفقون في قبول هذا التّغيير ، و هم الموهوبون و أصحاب المجامع اللّغويّة ، و **ثانيتهما** دخول هذا التّغيير دائرة الاستعمال ، إذ ينتقل هذا التّطوّر من حيّز الفرضيّة إلى حيّز التّداول و الاستعمال ، و من دائرة الفرد و الجماعة المحدودة إلى دائرة الجماعة الموسّعة .

و يبدو أنّ **أولمان** في هذا التّقسيم قد ركّز في هاتين المرحلتين من مراحل تطوّر اللّغة على نوع واحد فقط من التّطوّر ألا و هو التّطوّر المقصود أو التّطوّر الشّعوريّ ، و هو التّطوّر الخاصّ بالموهوبين كالأدباء و الشّعراء و أصحاب المجامع اللّغويّة ، في حين أهمل نوعا آخر من التّطوّر و هو التّطوّر غير المقصود ، إذ قصره على التّطوّر الذي يكون على مستوى الفرد على سبيل الصّدفة ، و كان يفترض أن يوضّح مراحل هذا النّوع ؛ لأنّ هذا الأخير هو النّوع الذي شغل مجالا كبيرا من اهتمام الباحثين و اللّغويين ،

هذا من جهة ، و من جهة أخرى فإنّ التّطوّر لا يكون اعتباطا أو مجرّد مصادفات ، و إنّما يكون وفقا لقوانين ، حتّى و إن لم تصل هذه القوانين إلى مستوى المفهوم الحقيقيّ للقوانين .

ثالثا : سمات و خواصّ التّطوّر اللّغويّ :

للتّطوّر اللّغويّ خواصّ كثيرة تتقاطع بعضها مع خواصِ التّطوّرِ الصّوتيّ و الدَّلاليِّ () ، و من أهمِ هذه الخواصِ ما يلي :

- التطوّر اللّغويّ يشمل جميع اللّغات ، فكلّ اللّغات عرضة للتّغيّر و التّبدّل عبر العصور و الأجيال و هو ظاهرة طبيعيّة دعت إليها الضّرورة و الحاجة. ()، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و يعرض هذا التّطوّر للّغات جميعها أيّا كان مستواها اللّغويّ ، و أيّا كان المستوى الحضاريّ الذي يسود مجموعة بشريّة بعينها . » ()

- التّطوّر اللّغويّ يشمل مختلف مستويات اللّغة الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، و إن كان الاختلاف في درجة التّطوّر واضحا ، إذ إنّ المستوى الدّلاليّ أكثر استجابة و أكثر عرضة للتّطوّر على خلاف بقيّة المستويات الأخرى ، و يرجع السّبب في ذلك إلى أنّ الأصوات و الصّيغ و التّراكيب تجنح إلى مبدأ الاستقرار و الثّبات ، و على العكس من ذلك ، فإنّ المفردات تنافي مبدأ الاستقرار و الثّبات لارتباطها بظروف الحياة المتغيّرة ، فالألفاظ تتغيّر و الدّلالات تتغيّر أيضا تبعا لتغيّر نمط تفكير الإنسان ، يقول **فندريس** : « فالنّظام الصّوتيّ يستقرّ منذ الطّفولة و يستمرّ طول الحياة ، فالإنسان يحتفظ حتّى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعوّدت عليها أعضاؤه الصّوتيّة منذ طفولته ، اللّهمّ إلاّ أن يحدث له عارض ناتج من التّعليم ، و ذلك في حالة أن يتلقّى نطقا أجنبيّا يحلّ محلّ النّطق القوميّ ، النّظام الصّرفيّ ثابت أيضا ، نعم إنّ استقراره يتطلّب وقتا أطول ، و لكنّه بعد أن يستقرّ لا يعتريه تغيّر يذكر ، ذلك بأنّ الصّرف لا يتغيّر في أثناء جيل واحد ، بل هو كالصّوتيات إنّما يتغيّر في الانتقال من جيل إلى جيل ، فالنّظام الصّوتيّ و النّظام النّحويّ إذا ما اكتسبا مرّة بقيا طول العمر ، و يدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنيّة المتكلّم ، أمّا المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقرّ على حال ؛ لأنّها تتبع الظّروف ،

فكلّ متكلّم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممّن يحيطون به ، فالإنسان يزيد من مفرداته ، و لكنّه ينقص منها أيضا و يغيّر الكلمات في حركة دائمة من الدّخول و الخروج ، ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائما ، فالذّهن يروّض نفسه على وجود المترادفات و المتماثلات و يوّزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة . » ()

- يسير ببطءٍ وتَدَرُّجٍ ، فلا يأتي التّطوّر اللّغويّ الذي يحصل في مختلف مستويات اللّغة بشكل مفاجئٍ و سريع ، وإنّما يتمّ على مراحل زمنيّة قد تتباعد ، كما أنَّه يستغرق وقتا طويلا ، وذلك لكي يلحظ و يسجّل في الوقت نفسه ، و قد عرّف التّطوّر في أحد اتّجاهاته بأنّه انتقال اللّغة من طور إلى طور ، أي من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، كما شبّهت مراحل تطوّرها بمراحل عمر الإنسان ، و لا شكّ أنّ هذه المراحل يصحبها تغيّر تدريجيّ ، فعلى مستوى تغيّر دلالة المفردات نذكر مثلا كلمة " الصّلاة فقد كانت تعني في العصر الجاهلي الدّعاء ، ثمّ تطوّرت دلالاتها في العصر الإسلامي إلى ركن من أركان الإسلام ، و كذا الأمر مع بقيّة الألفاظ الأخرى التي تطوّرت دلالاتها بمجيء الإسلام () ، و كلمة "**Bureau** " فقد كانت تطلق في البدء على صنف خاصّ من الأقمشة ، ثمّ أطلقت على غطاء مائدة المكتب لاتّخاذه غالبا من هذا الصّنف ، ثمّ أطلقت على مائدة المكتب نفسها ، ثمّ أطلقت على مقرّ العمل و الإدارة لملازمة المكتب لهما .()

فهذه المعاني التي تتوالى على الكلمات يلحظ أنها لم تأت دفعة واحدة ، و إنّما تغيّرت تدريجيّا و استغرقت وقتا طويلا .

- يحدث من تلقاء نفسه بطريق آليّ لا دخل للإرادة الإنسانيّة فيه و ذلك إلى حدٍّ ما ، فقد تنطق بعض الأصوات على نحو ما بطريقة لا شعوريّة ، فينتشر استعمالها على ذلك النّحو ، مثلما هو الحال في نطق بعض الأصوات على مستوى لهجاتنا الجزائريّة ، إذ تنطق القاف همزة ، في بعض المناطق ، و تنطق الثّاء تاء في بعض المناطق الأخرى ، و حتّى و إن عدّت أخطاء بموازاتها مع اللّغة العربيّة ، إلاّ أنّه لا يمكن تجاهل هذا التّغيّر على مستوى النّطق ، و قد يحدث التَّطوُّرُ وفقًا للإرادة الإنسانيَّة ، ففي مجال الاصطلاح

تجد أهل التَّخصّصِ يتواضعون و يتّفقون على وضع مصطلح ما تبعا لما تقتضيه الحاجةُ بحيث يتناسب مع مجال استعماله في التّخصّصِ ، و هو ما تقوم به المجامع اللّغويّة و الهيئات العلميّة المتخصّصة في هذا المجال .

- جبريُّ الظَّواهر، لأنَّه يخضع في سيره لقوانينَ عامّة ، فاللّغة مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعيّة ،

و هي تتبدّل و تتطوّر ، فهي بذلك تخضع كما تخضع سائر الحوادث و الظّواهر الاجتماعيّة لقوانين تسير عليها و تتطوّر بحسبها ، فليس تبدّلها اعتباطا و لا تطوّرها فوضى ، و خير مثال على ذلك أنّ تطوّر دلالات الألفاظ اتّخذ عدّة أشكال و مظاهر ؛ منها تعميم الخاصّ و تخصيص العام و انتقال الدّلالة من الحسّيّة إلى المجرّدة و من المجرّدة إلى الحسّية ، و قد عدّت هذه المظاهر و الأشكال بمثابة القوانين العامّة التي يسير وفقها كلّ تطوّر دلاليّ .() ، وكذلك الأمر بالنّسبة لتطوّر الأصوات ، إذ لا يتم تطوّرها اعتباطا ، و إنّما يكون عادة نتيجة قانون معيّن ، فتطوّر القاف إلى همزةٍ أو غينٍ أو كافٍ أو جيمٍ قاهريةٍ مثلا ، أمرٌ يمكن تفسيره بالقوانين الصَّوتيَّةِ من قربِ المخارجِ أو صفاتِ الأصواتِ ، يقول **علي عبد الواحد وافي** :

« اللّغة شأنها في ذلك شأن الظّواهر الاجتماعيّة الأخرى ، عرضة للتّطوّر المطّرد في مختلف عناصرها : أصواتها و قواعدها و متنها و دلالاتها و أنّ تطوّرها هذا لا يجري تبعا للأهواء و المصادفات ، أو وفقا لإرادة الأفراد ، و إنّما يخضع في سيره لقوانين جبريّة ثابتة ، مطّردة النّتائج ، واضحة المعالم ، محققّة الآثار ، لا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدّى إليه ، فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطوّر لغة ما ، أو يجعلوها تجمّد على وضع خاصّ أو يسيروا بها في سبيل غير السّبيل التي رسمتها لها سنن التّطوّر الطبيعيّ . » () ، و يقول **رمضان عبد التّوّاب** أيضا : « و يهمّنا هنا أن نشير إلى أنّ التّطوّر اللّغويّ لا يحدث على نحو مشتّت غير مطّرد ، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة يمكن أن نصوغها في صورة قوانين دقيقة ، إذا تناولنا لغة ما في عصريين متتابعين من تاريخ تطوّرها . » ()

و بالتّمعّن في هذه الخاصيّة يمكننا تسجيل بعض الملاحظات ؛ **أولاهما** تفيد بأنّ هذا التّطوّر لا ينبغي أن يتنافى مع الضّوابط العامّة للّغة ، صوتا و صرفا و نحوا و دلالة ، و إلاّ عدّ خرقا لنظامها ، **و ثانيتهما**

تفيد بأنّه لا يمكن المبالغة في أمر خضوع كلّ تطوّر لغويّ لقانون معيّن ، إذ إنّ علماء اللّغة لم يصلوا بعد إلى الكشف عن جميع القوانين التي يسير عليها التّطوّر في مختلف مستويات اللُّغةِ الأخرى ، و ما كشفوه منها لم يصل بعد في دقَّته و ضبطه و عمومه إلى مستوى القوانين المتعلِّقة بالتَّطوّر الصَّوتيّ ()

و **ثالثهما:** أنّ هذه القوانين اللّغويّة لا يمكن تشبيهها بقوانين العلوم الطّبيعيّة و الكيميائيّة، و بذلك يجب أن يؤخذ مصطلح القوانين بمعناه الواسع لا بمعناه الدّقيق مثلما هو الحال في هذه العلوم.()

- **التَّطوّر اللّغوي في غالب** أحواله مقيَّدٌ بالزّمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصرُ أثرُها على بيئة معيّنة وعصر خاصٍّ، ولا نكاد نعثرُ على تطوُّرٍ لغويٍّ لحق جميع اللّغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد ()، يقول **ماريو باي** : « إنّ الاتّجاه الطّبيعيّ للّغة ، و بخاصّة في صورتها الدّارجة ، أو المتكلّمة هو اتّجاه يبعدها عن المركز....، و اللّغة تميل إلى التّغيّر سواء خلال الزّمان أو المكان إلى الحدّ الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز...، هذه الخاصّيّة العالميّة للّغة هامّة لعالم اللّغة التّاريخيّ، حيث إنّها تشكّل الأساس في كلّ تغيّر لغويّ.. » () ، فتحوّل صوت القاف مثلا إلى همزة لم يظهر إلاّ في بعض المناطق التي تتكلّم العربيّة ، و تحوّل صوت **a** الواقع في نهاية بعض الكلمات اللاّتنيّة إلى صوت **e** لم يظهر إلاّ عند الفرنسيين ، و لم يظهر أثره لديهم إلاّ في المدّة المحصورة بين نهاية القرن الثّامن و أوائل القرن الرّابع عشر.()

- **غيرُ فرديٍّ**، حيث لا يظهر أثرُه عند فردٍ واحدٍ ، و إنّما يظهر أثره في استعمال جميع أفراد البيئة الواحدة () ، فسقوط علامات الإعراب في لغة المحادثة المعاصرة لم يفلت من أثره أيُّ فردٍ عربيٍّ .

- التّطوّر في اللّغة مرتبط بأسباب و عوامل كثيرة لا يمكن حصرها و ضبطها و التّنبّؤ عنها قبل وقوعها، و من هذا المنطلق؛ فإنّه لا يمكن التّنبّؤ سلفا عن الطّرائق التي يسير فيها التّطوّر في اللّغة أيضا.()

- **للعوامل الدّينية و القوميّة** أثر كبير في توجيه التّطوّر نحو وجهة ما ، فكلّ لغة تنحو في تطوّرها نحوا خاصّا لا يخرج عن إطار هويّتها الدّينية و العقائديّة ، فاللّغة العربيّة ارتبطت بالقرآن الكريم ، و قد

حافظ هذا الأخير على قدسيتها ، فرغم تطوّرها في أنظمتها ، إلاّ أنّها لم تخرج في إطارها العام عن الوجهة التي رسمها لها القرآن العظيم . ()

- التّطوّر في اللّغة شأنه شأن التّطوّر في سائر مجالات الحياة ، فكما لا تتّجه مجالات الحياة دوما نحو الأحسن و الأفضل و الرّقي و التّقدّم ، لا يتّجه التّطوّر دوما نحو الأحسن و لا يكون دائما بمعنى التّقدّم و الارتقاء ، فقد يكون تردّيا و انتكاسا ، و قد تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا () ، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و هكذا يكون سير التّطوّر سلبيّا كما يكون إيجابيّا ، فربّما لا تتطوّر اللّغة نحو مستوى متقدّم رفيع ، بل تنزل إلى درك من التّغيّر و التّبدّل تبعا للمستوى الحضاريّ و الثّقافيّ الذي عليه الأمّة . » ()

<u>قائمة المصادر و المراجع :</u>

-ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم (ت 711هـ) ، لسان العرب ، دار المعارف .

-مجمع اللّغة العربيّة ، المعجم الوسيط، النّاشر ، مكتبة الشّروق الدّوليّة ، ط 4 ، 1429هـ-2008م ،

-ماريو باي ، أسس علم اللّغة ، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 8 ، 1419هـ - 1998م

-علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، اللّغة و المجتمع ، شركة مكتبات عكاظ للنّشر و التّوزيع ، ط 1 ، ط4 ، 1403هـ - 1983م

- رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله .

-محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة – دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة و عرض لمنهج العربيّة الأصيل في التّجديد و التّوليد ، دار الفكر للطّباعة و النّشر - و التّوزيع .

. -حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها .

-عبد الرّحمن بودرع ، بين التّطوّر اللّغويّ و التّغيّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، مقال نشر في موقع ، مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّةhttps://www.m-a-arabia.com/site/8683.html ، تاريخ الاطّلاع عليه : الأحد 28 - 06-2020 م ، في السّاعة العاشرة صباحا .

<u>ملاحظة :</u> ترجم مصطلح النّموّ بـEvolution أوDevelopment ، ينظر : حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ، في حين ترجم مصطلح التّطوّر بـ Evolution ،

و ترجم مصطلح النّموّ بـDevelopment : ينظر عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللّسانيّة ، إنجليزي ، فرنسي ، عربي ، بمشاركة نادية العمري ، دار الكتاب الجديدة المتّحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،

و ترجم أيضا مصطلح التّطوّر بـEvolution : و Development ، ينظر : أحمد محمّد قدّور : مصنّفات اللّحن

و التّثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري .

كما ترجم التّغيّر بـ Change : على أساس تفسير التّطوّر بالتّغيّر ، ينظر حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها . ، أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغويّ حتى القرن العاشر الهجري . ، و ترجم التّطوّر اللّغوي بـ Linguistic Change، ينظر : كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة . ، كما ترجمت اللّسانيات التّطوّريّة بـ : evolutionary Linguistics ، و نموّ اللّغة بـ : Development of Langage ، ينظر : عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللّسانيّة .